مختارات

من شـــعر حافظ

للحق والوطن

ما لى أرى الأكمامَ لا تُفتَحُ والروضَ لا يزكو ولا يَنفحُ
والطيرَ لا تلهو بتدويمها فى مُلكِها الواسعِ أو تصدَحُ
والنيلَ لا تَرقُصُ أمواهُهُ فَرْحى ولا يجرى بها الأبطحُ
والشمسَ لا تُشرقُ وضّاءةً تجلو همومَ الصَّدرِ أو تَنزحُ
والبدرَ لا يَبدو على ثَغْرِهِ من بَسماتِ اليُمْنِ ما يَشرحُ
والنَّجمَ لا يَزْهَرُ فى أُفقِهِ كأنّه فى غمرةٍ يَسبحُ
ألم يَجِئْها نبأٌ جاءنا بأنّ مِصْراً حُرَّةٌ تَمْرَحُ ؟
أصبحتُ لا أدرى على خِبرةٍ أجدَّتِ الأيامُ أم تَمزحُ !
أموقفٌ للجدِّ نجتازُهُ أم ذاكَ للأهى بنا مَسرحُ ؟
ألمحُ لاستقلالنا لمعةً فى حالكِ الشكّ فأستروحُ
وتطمسُ الظلمةُ آثارَها فأنثنى أُنكرُ ما ألمحُ
قد حارتِ الأفهامُ فى أمرِهِمْ إنْ لَمَّحوا بالقصدِ أو صَرَّحُوا !

معبر الحب

هَوَيْنا فاهُنّا كما هان غيرُنا ولكننا زِدنا مع الحبّ سُؤْدَدَا
وما حكمتْ أشواقُنا فى نفوسنا بأيسرَ مِن حُكمِ السماحةِ والنَّدَى
نفوسٌ لها بين الجنوبِ مَنازلٌ بَناهَا التُّقى واختارها الحُبُّ مَعْبَدَا

سجن الفضيلة

تعمنَ بنفسى وأشقيننى فياليتهنّ ويا ليتنى
خلالٌ نزلنَ بخصب النفوس فرويتهنّ وأظمأننى
تعوّدنَ منّى إباءَ الكريم وصبرَ الحليم وتيهَ الغنى
وعوّدتُهنّ نزالَ الخطوبِ فما ينثنين وما أنثنى
إذا ما هممتُ بليل الشباب أهبْنَ بعزمى فنبهننى
فما زلتُ أمرح فى قدّهنّ ويمرحنَ منّى بروضٍ جنى
الى أن تولّى زمانُ الشبابِ وأوشك عودىَ أن ينحنى
فيا نفسُ إنْ كنتِ لا توقنين بمعقودِ بأمرك فاستيقنى
فهذى الفضيلةُ سجنُ النفوس وأنتِ الجديرةُ أن تسجنى

الدنيا الضائعة

لم يبقَ شىءٌ من الدنيا بأيدينا الا بقيةُ دمعٍ فى مآقينا
كنّا قلادةَ جيدِ الدّهرِ فانفرطتْ وفى يمينِ العُلَى كنّا رياحينا
كانت منازلُنا فى العزّ شامخةً لاتُشرق الشمسُ الاّ فى معانينا
وكان أقصى مُنَى نهر المجرةِ لو مِنْ مائهِ مُزِجَتْ أقداحُ ساقينا
والشُّهبُ لو أنّها كانت مسخّرةً لرجم مَنْ كان يبدو مِنْ أعادينا
فلم نَزلْ وصُرُوفُ الدهرِ ترمقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتُلهينا
حتى غدونا ولاجاهٌ ولا نَشَبٌ ولا صديقٌ ولاخِلٌّ يُواسينا

الى الامبراطورة أوجينى

(عند قدومها الى مصر بعد زوال ملكها)

أين يومُ القنال ياربة التا ج ، ويا شمسَ ذلك المهرجانِ
أين مُجرِى القنالِ ؟ أين مميتُ الـ مَال ؟ أين العزيزُ ذو السلطانِ ؟

أين هارونُ مصر ؟ أين أبو الـ أشبالِ ربّ القصور ربّ القيانِ ؟
أين ليثُ الجزيرةِ ابنُ عليّ واهبُ الألفِ مكرمُ الضيفانِ
أين ذا القصرُ بالجزيرة تجرى فيه أرزاقُنا وتحبو الأمانى ؟
فيهِ للنحسِ كوكبٌ مُسْرِعُ السَّيـ ـرِ ، وللسعدِ كوكبٌ متوانى
قد جرى النيلُ تحتَه بخشوعٍ وانكسارٍ وهابه الفتيانِ (١)
كنتَ بالأمسِ جنّةَ الحورِ ياقص رُ فأصبحتَ جنةَ الحيوانِ
خطرَ الليثُ فى فنائكَ يا قَصْ رُ وقد كنتَ مَسْرَحاً للحسانِ
وعوَى الذئبُ فى نواحيك ياقص رُ وقد كنتَ معقلاً للسانِ
وحباكَ الزوّارُ بالمالِ يا قَصْ رُ وقد كنتَ مصدرَ الاحسانِ
كنتَ تُعْطِى فمالكَ اليوم تُعْطَى أين بانيكَ ؟ أين ربُّ المكانِ ؟
إن أطافتْ بك الخطوبُ فهذى سنّةُ الكونِ من قديمِ الزمانِ
رُبَّ بانٍ نأى وربَّ بناءٍ أسلمتْهُ النوَى إلى غيرِ بانى
تلكَ شأنُ الابوانِ يا ربّةَ التا جِ ، فما حالُ صاحبِ الايوانِ ؟
قد طواه الرَّدَى ولو كان حيّاً لمشَى فى ركابكِ الثقلانِ (٢)
وتولتْ حراسةَ الموكبِ الأسْـ ـنَى نجومُ السماءِ والنيرانِ
إنْ يكنْ غابَ عن جبينكِ تاجٌ كان بالغربِ أشرفَ التيجان
فلقد زانكِ المشيبُ بتاجٍ لا يدانيه فى الجلالِ مُدَانى
ذاكَ من صنعةِ الأنامِ وهذا من صنيعِ المهيمنِ الدَّيانِ
كنتِ بالأمسِ ضيفةً عند مَلْكٍ فانزلى اليومَ ضيفةً فى خانِ
واعذرينا على القُصورِ ، كلانا غيَّرتْهُ طوارئُ الحدثانِ

(١) الليل والنهار (٢) الانس والجن

حادثة دنشواى

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
خفّضوا جيشكم ، وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكم ذاتُ طوقٍ بين تلك الرُّبَى ، فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقُنا الأجيادا
لا تظنّوا بنا العقوقَ ولكنْ أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لا تقيدوا [1] من أمةٍ بقتيلٍ صادت الشمسُ نفسه حين صادا
جاء جُهّالُنا بأمرٍ وجئتمْ ضعفَ ضعفيهِ قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتلَ إنْ ضننتم بعفوٍ أقصاصاً أردتمُ أم كيادا ؟
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمُ أم جمادا ؟
ليتَ شعرى أتلكَ محكمةُ التفـ ـتيشِ عادتْ أم عهدُ نيرون عادا ؟!

« • »

أيها المدّعى العمومىّ مَهْلاً بعضَ هـذا فقد بلغتَ المرادا
قد ضمنّا لكَ القضاءَ بمصرٍ وضمنّا لنجلكَ الإسعادا
فاذا ما جلستَ للحكمِ فاذكرْ عهدَ مصرٍ فقد شفيتَ الفؤادا

« • »

لا جَرَى النيلُ فى نواحيكِ يا مصـ ـرُ ، ولا جادَكِ الحيا حيث جادا
أنتِ أنبتِّ ذلكَ النبتَ يا مِصـ ـرُ ، فأضحى عليكِ شوكاً قتادا
أنتِ أنبتِّ ناعقاً قام بالأمـ ـسِ فأدْمى القلوبَ والأكبادا
إيهِ يا مِدْرَهَ القضاءِ ويا مَنْ سادَ فى غفلةِ الزمانِ وشادا
أنت جلّادُنا فلا تنسَ أنّا قد لبسنا على يديك الحِدادا !

---

(١) لا تأخذوا بالثأر .

الظلم المهذب

لقد كان فينا الظلمُ فوضى فهُذِّبَتْ ... حواشيهِ حتى بات ظُلماً مُنظَّمَا
تمنّ علينا اليومَ أن أخصبَ الثرى ... وأن أصبحَ المصريُّ حُرّاً مُنعَّمَا
أَعِدْ عهدَ اسماعيل جَلداً وسخرهُ ... فانى رأيتُ المَنَّ أنكى وآلما
عملتم على عِزّ الجمادِ وذُلّنا ... فأغليتمُ طِيناً وأرخصتمُ دَمَا
إذا أخصبتْ أرضٌ وأجدبَ أهلُها ... فلا أطلعتْ نبتاً ولا جادَها السَّمَا!

زلزال سبتمبر

نبِّئانى إنْ كنتما تعلمان : ... ما دَهَى الكونَ أيها الفرقدانِ
غضبَ اللهُ أم تمردتْ الأر ... ضُ فألحتْ على بنى الانسانِ ؟!
ليس هذا ، سبحان ربى ، ولاذا ... كَ ولكنْ طبيعةُ الأكوانِ
غليانٌ فى الأرضِ نَفَّسَ عنه ... ثورانٌ فى البحرِ والبركانِ
ربِّ ! أين المَفَرُّ والبحرُ والبرُّ ... على الكيدِ للورَى عاملانِ ؟!
كنتُ أخشى البحارَ والموتُ فيها ... راصدٌ غفلةً من الربّانِ
سابحٌ تحتنا ، مُطِلٌّ علينا ... حائمٌ حولَنا ، مُناوٍ مُدَانى
فاذا الأرضُ والبحارُ سواءٌ ... فى خلاقٍ : كلاهما غادرانِ

« • »

ما (لمسّينَ) عُوجِلَتْ فى صباها ... ودَعَاهَا من الرَّدَى داعيانِ
ومَحَتْ تلكمُ المحاسنَ منها ... حينَ ثَمَّتْ آياتُها آيتانِ
خُسِفَتْ ، ثم أُغرِقَتْ ، ثم بادتْ ... قُضِىَ الأمرُ كُلُّه فى ثوانِ
وأتى أمرُها فأضحتْ كأنْ لم ... تَكُ بالأمسِ رينةَ البلدانِ
ليتها أُمْهِلَتْ فتقضى حُقوقاً ... من وداعِ اللّداتِ والجيرانِ

لحظةٌ يُسْعَدُ الصديقانِ فيها باجتماعٍ ويَلتقى العاشقانِ
بَغَتْ الأرضُ والجبالُ عليها وطَغى البحرُ أيّما طغيانِ
تلكَ تَعْلى حقداً عليها فتَنْشَقّ قُ انشقاقاً من كثرةِ الغليانِ
فتُجيبُ الجبالُ رَجْماً وقَذْفاً بشواظٍ مِنْ مارجٍ ودخانِ
وتسوق البحارُ ردّاً عليها جيشَ موجٍ نائى الجناحين دانى
فهنا الموتُ أسودُ اللونِ جونٌ وهنا الموتُ أحمرُ اللونِ قانى
جَنَّدَ الماءَ والثرى لهلاكِ الـ ـخلقِ ثم استعان بالنيرانِ
ودها السُّحبَ عاتياً فأمدّتْـ ـهُ بجيشٍ من الصواعقِ ثانِ
أين (رجيو) وأين ما كان فيها مِنْ مَغانٍ مأهولةٍ وغوانى ؟
عُوجِلَتْ مثلَ أختها ، ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
ربَّ طفلٍ قد ساخ فى باطن الأر ضِ ينادى : أمّى ! أبى ! أدركانى !
وفتاة هيفاء تُشْوَى على الجَمْـ ـرِ تُعانى مِنْ حَرِّهِ ما تُعانى
وأبٍ ذاهلٍ إلى النارُ ، يَمْشى مُستميتاً تمتدّ منه اليدانِ
باحثاً عن بناتهِ وبنيهِ مُسرعَ الخَطْوِ مُستطيرَ الجَنَانِ
تأكلُ النارُ منهُ ، لا هو ناجٍ مِنْ لَظَاهَا ولا اللَّظَى عنهُ وانى !

منزل الامام محمد عبده

فيا مَنزلاً فى عينِ شمسٍ أظلَّنى وأرغمَ حُسّادى وغمَّ عُداتى
دعائمهُ التقوى ، وآساسُه الهُدَى وفيه الأيادى موضعُ اللَّبِناتِ
عليكَ سلامُ اللهِ مالكَ موحشاً عبوسَ المغانى مقفرَ العرصاتِ ؟
لقد كنتَ مقصودَ الجوانبِ آهلاً تطوف بكَ الآمالُ مبتهلاتِ
مثابةَ أرزاقٍ ، ومَهبطَ حكمةٍ ومَطلعَ أنوارٍ ، وكنزَ عِظاتِ

النيل

النيـــــــلُ مرآةٌ تنفّـ ... سَ فى صحيفتهـــا النَّسيمْ
سلبَ السماءَ نُجومَهـــــا ... فهوتْ بلجّتهِ تَعُومْ
نَشرتْ عليـــــــه غـلالةً ... بيضاءَ حاكتها الغُيومْ
شَمَّتْ لأعينـنا سوى ... ما شابَهُ منهـا الأديمْ
وكأننا فـــــوقَ السماء ... وتحتَنا ذاكَ السَّـــــديمْ
تجرى الحوادثُ حيث تجـ ... ـري لا تُضامُ ولا تضيمْ

عند قبر مصطفى كامل

طوفوا بأركان هذا القبرِ واستلموا ... وافضُوا هنالكَ ما تقضى به الذِّمَمُ
هنا جَنانٌ تعالى اللهُ بارؤُهُ ... ضاقتْ بآمالهِ الأقدارُ والهِمَمُ
هنا فمٌ وبنانٌ لاحَ بينهما ... فى الشرقِ فجرٌ تُحَيّى ضوءَهُ الأمَمُ
هنا الشهيدُ ، هنا ربُّ اللواء ، هنا ... حامى الذّمارِ ، هنا الشهمُ الذى علموا

« • »

إنّى أرى وفؤادى ليس يكذبنى ... روحاً يحفّ بها الاكبارُ والعِظَمُ
أرى جلالاً ، أرى نوراً ، أرى مَلَكاً ... أرَى مُحَيّاً يُحيّينا ويبتسمُ
اللهُ أكبرُ ! هذا الوجهُ أعرفُهُ ! ... هذا فتى النيلِ هذا المفردُ العَلَمُ !
غُضُّوا العيونَ وحيّوه تحيتَه ... من القلوبِ إذا لم تُسعِدْ الكَلِمُ
وأقسموا أن تذودوا عن مَبادئهِ ... فنحن فى موقفٍ يحلو به القَسَمُ !

لوعة وأنين

أنا فى يأسٍ وهمٍّ وأسًى ... حاضرُ اللوعةِ موصولُ الأنينْ
مستهينٌ بالذى لاقيتهُ ... وهو لا يدرى بما ذا يَستهينْ
سُوَرٌ عندى له مكتوبةٌ ... وَدَّ لو يَسرى بها الرُّوحُ الأمينْ
إننى لا آمَنُ الرُّسْلَ ، ولا ... آمَنُ الكُتْبَ على ما يَحتوينْ !